

حقيقة الألوهية

..... يقول: إذا فهمت ذلك فَتَأَمَّلِ الْأَلْوَهِيَّةَ، الَّتِي أَتَبَهَا اللَّهُ - تعالى- لنفسه. تأمل الألوهية. اعلم أن الألوهية: هي التاله الذي هو التعبد. وأن الله-تعالي- نفها عن كل ما سواه، نفها عن محمد وغيره من الأنبياء، ونفها عن جبريل وغيره من الملائكة، وأخبر بأنهم جميعا ليس لهم منها مثقال حبة من خرد؛ بل كلها لله وحده، يعم ذلك جميع أنواع الألوهية. إذا عرفنا أن الإله: هو الذي تأله القلوب.. تأله القلوب.. محبة، وعبادة، وخصوصا، وإنابة. وأن هذا هو حَقّاً تعريف العبادة التي هي مُشَتَّتَةٌ مِنَ التَّعْبُدِ، والتي ذَكَرَ معناها ابن القيم -رحمه الله- في النونية بقوله: وعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةٌ حُبِّهِ مَعَ دُلُّ عَابِدِهِ هَمَا قُطْبَانٍ وَعَلَيْهِمَا فَلَكِ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقَطْبَانِ وَمَدَارِهِ بِالْأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ لَا بِالْهُوَى، وَالنَّفْسِ، وَالشَّيْطَانِ هَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ، وَهِيَ الْأَلْوَهِيَّةُ. الإله: هو الذي تأله القلوب.. محبة، وخوفا، وخصوصا. ويفسرون العبادة بأنها: غاية الحب مع غاية الذل. أن يكون محبا لله تعالى، ومتدلا بين يديه. غاية الحب مع غاية الذل. فإذا تخلف واحد منهما تخلف وصف الألوهية، فالذين يتبعيدون؛ ولكنهم لا يحبون معبودهم، يعني: يكرهونه، لا يُوصَفُونَ بِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ إِلَهًا، وَلَا أَنْ أَفْعَالُهُمْ عِبَادَةً؛ وَذَلِكَ لِتَخْلُفِ أَثْرِهِ -أَثْرِ الْعِبَادَةِ- الَّذِي هُوَ الْحُبُّ، الَّذِي يَدْفَعُهُمْ إِلَيْهِ إِحْسَانُهُ، وَإِنْعَامُهُ، وَفَضْلُهُ عَلَى عَبَادِهِ. إِذَا تَخَلَّفَتِ الْعِبَادَةُ، وَادْعَى الْحُبُّ، لَمْ يَكُنْ الْحُبُّ صَحِيحًا. فَالَّذِينَ يَحْبُّونَ اللَّهَ؛ وَلَكِنْ لَا يَتَوَاضَعُونَ لَهُ، وَلَا يَتَضَرَّعُونَ بَيْنَ يَدِيهِ، وَلَا يَدْعُونَهُ، وَلَا يَرْجُونَهُ، وَلَا يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَرْكَعُونَ لَهُ، وَلَا يَسْجُدُونَ لَهُ!! هُؤُلَاءِ لَيْسُوا -أَيُّضًا- مِنْ اتَّخِذَهُ إِلَهًا. فَالْتَّالِهُ: هُوَ التَّحَبُّبُ، وَالتَّوَدُّدُ، وَالتَّوَاضُعُ، وَالتَّذَلُّلُ، وَالْإِنْبَاتَةُ، وَالْخُصُوصَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ؛ لَذَلِكَ يَصْدِقُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا اللَّهَ -تعالَى- إِلَهًا، فَمِنْ صَرْفِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، أَشْرَكَ بِاللَّهِ؛ وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا، لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ مَثُقَالَ حَبَّةِ مِنْ خَرْدَلٍ. الْخَرْدَلُ: شَجَرٌ مُعْرُوفٌ كَبِيرٌ، وَجِبَهُ أَصْغَرٌ مِنْ حَبَّ الدَّخْنِ، مُعْرُوفٌ؛ قَيْمَنْ اللَّهُ -تعالَى- بِهَا -بِحَبَّةِ الْخَرْدَلِ-. قَالَ تَعَالَى: { وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةِ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } وَقَالَ تَعَالَى: { وَنَصَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةِ مِنْ حَرْدَلٍ } . فَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ كُلَّ مَنْ سُوِّيَ اللَّهُ مِنَ الْأَلْهَمَةِ -الَّتِي تُسَمِّيُ الْأَلْهَمَةَ- لَا يَصْلَحُ أَنْ يُصْرَفَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا؛ وَلَوْ كَانُوا مَا كَانُوا؛ وَلَوْ كَانُوا أَنْبِياءً، وَرُسُلًا، وَمَلَائِكَةً، وَأَوْلَيَاءَ، وَنَحْوَهُمْ؛ وَذَلِكَ إِشَارةٌ إِلَى أَنَّ هُنَّاكَ مِنْ جُلُّ مَعِ اللَّهِ الْأَلْهَمَةِ أَخْرَى، قَدْ يَكُونُونَ أَقْلَلَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْزَلَ قَدْرًا مِنْهُمْ.